الذاكرة المضادة والسلطة في رواية السيرة الغيرية (البعث وذاكرة العنف دراسة في رواية "عالم صدام حسين" لمهدي حيدر)

الباحث. أحمد بيان عبد السادة **أ.د. عقيل عبد الحسين خلف**

كلية الآداب / جامعة البصرة

Email : Ahmed.bayan@uobasrah.edu.iq
Email : Akeel.khalf@uobasrah.edu.iq

الملخــص

السلطوي العام– مطيّة له للإجابة عن سؤال أساسيّ يقول: هل استطاعت رواية السيرة الغيرية وهي تنطلق من تاريخ خاص، أنْ تحاكم التاريخ العام، وتوجّه له النقد، وتفضح جانبه السلطوي يتّخذ الباحث الذاكرة المضادة، وما توفّره من معطيات – بوصفها بحثاً في التاريخ الخاص، ونقداً للتاريخ ، وانحيازه إلى السلطة السياسية؟، وهذا الأمر تطلّب من الباحث أنْ يعامل الرواية بوصفها ذاكرة مضادة لذاكرة السلطة. وقد اعتنى البحث برواية (عالم صدّام حسين) لمهدي حيدر؛ لأنّها تسلط الضوء على عيوب تلك السلطة، وتكتب تاريخ البعث من جديد، كاشفة عن الوسائل التي استعان بها هذا الحزب للوصول إلى السلطة، متخذة من شخصية (صدام حسين) شخصية محورية تدور في فلكها الشخصيات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة المضادة، التاريخ الجينالوجي، السلطة ، رواية السيرة الغيرية، مهدي حيدر.

Counter-Memory and Power in Biographical Novels (The Baath Party and the Memory of Violence: A Study of "The World of Saddam Hussein" by Mahdi Haider)

Researcher. Ahmed Bian Abdul Sada

Prof. Dr. Aqil Abdel Hussein Khalaf

College of Arts / University of Basrah

Email: Ahmed.bayan@uobasrah.edu.iq

Email: Akeel.khalf@uobasrah.edu.iq

Abstract

The researcher adopts the concept of counter-memory, using its data as a study of private history and a critique of general authoritative history, to address a fundamental question: Has the biographical novel, starting from personal history, been able to critique and judge general history, exposing its authoritarian aspects and bias towards political power? This inquiry necessitated treating the novel as a counter-memory to the memory of authority. The study focuses on Mahdi Haider's novel "The World of Saddam Hussein," which highlights the flaws of that authority and rewrites the history of the Baath Party. It reveals the methods the party employed to seize power, centering around the character of Saddam Hussein, with other characters revolving around him.

Keywords: counter-memory, genealogical history, authority, biographical novel, Mahdi Haider.

المقدمة

(مفهوم الذاكرة المضادة بالسلطة): وعلاقته

يرتبط مصطلحُ الذاكرةِ المضادةِ بالأطروحةِ التي دعا إليها الفيلسوفُ الفرنسيُّ ميشيل فوكو ومن قبلِه الفيلسوفُ الألماني فريدريك نيتشه، وهي الأطروحة التي سعت إلى تخليصِ التاريخ من قيودِهِ وأصولِهِ الميتافيزيقية من خلال ((استعمال التاريخ استعمالاً يحرّرُهُ إلى الأبد من النموذج الميتافيزيقي والأنثروبولوجي للذاكرة، يتعلق الأمرُ بأنْ نجعلَ من التاريخ ذاكرةً مضادةً، ونبثُّ فيه نتيجةَ ذلك شكلاً آخرَ من الزمن))[١] ، وهذا يعني أنَّ المنهجَ الذي دعا إليه الفيلسوفان للتعامل مع التاريخ لا يعارضُ التاريخَ بقدر معارضتِهِ للعرضِ التاريخي الماورائي الذي يحتفي كثيراً بالدلالاتِ المثالية ويركّزُ عليها، ولا يحدد ُالغاياتِ التي تختفي وراءَ كتابةِ التاريخ، أي أنّهُ يعارضُ بشكلٍ مباشرٍ فكرةَ البحثِ في الأصل[٢].

تكشفُ لنا الجذورُ الأولى لمصطلحِ الذاكرةِ المضادةِ علاقتَها بمصطلح الجينالوجيا، وهذا الأخيرُ يعارضُ التاريخ التقليدي(تاريخ المؤرخين)((أعني التاريخَ الذي بإمكانِهِ أنْ يأخذَ على عاتقِهِ اختزالَ التنوعِ الزمني وردَّهُ إلى كليةٍ منغلقةٍ على ذاتها، التاريخ الذي من شأنه أنْ يجعلَنا نتعرفُ على ذواتِنا في كلِّ الأزمان فيصالحُ بين التحركات الماضية ويجمعُ بينها... إنَّ تاريخَ المؤرخين هذا يتخذ منطلقاً له نقطةً خارجَ الزمنِ، وهو يدّعي أنَّ بإمكانه أنْ يحكمَ على كلِّ شيءٍ بموضوعية يوم القيامة))[٣] ، إنّ التاريخ التقليدي يستند على مبدأ الأصل وثباته، وهذا المبدأ تلازمه عيوبٌ كثيرةٌ، فهو يجعلُنا نعتبرَ ((كل ما حدث من تحوّل وحيل وتنكر عوارض طارئة، البحث عن الأصل معناه في الأخير الشروع في إماطة اللثام عن هوية أولى))[٤] ، ولا شكّ أنّ الانشغال بالبحث عن الهوية الأولى الميتافيزيقية؛ سيبعدنا عن البحث في أمر مهم يتعلق بتشكّل الهوياتِ وتصارعِها، فمنْ هنا جاءتْ أهميةُ البحث في البدايات((لأنّك إذا بحثت عن الأصل، ولم تعين البدء الزماني، انقلبَ بحثُك في التاريخ الواقعي إلى البحث في التاريخ الخيالي المجرد))[٥] ، لذا كان جوهر البحث الجينالوجي يتضح من خلال ((الوقوف الطويل والمتأني عند البدايات، البدايات بكل تفاصيلها واتفاقاتها والاهتمام الدقيق بقبحها وسخفها وانتظار بزوغ طلعتها من غير أقنعة وبوجه الآخر... يجب أن نتعلّم كيف نتعرف على حوادث التاريخ وهزاته ومفاجآته والانتصارات الهشة والهزائم غير المستساغة، والتشديد على الاهتمام بالبداية والمحتد والإرث الموروث وذلك على غرار ما يحدث في تشخيص أمراض الجسد))[٦] ، فمقاصد التاريخ المضاد أو التاريخ الجينالوجي تتجلى عبر البحث في البداية التاريخية باختلاف مواردها وتعددها[٧].

إنّ الذاكرة المضادة وهي تستمدُ جذورها النظرية من التاريخ الجينالوجي تتعارض مع التاريخ التقليدي؛ لأنّ الأخير ((يرمي إلى إذابة الحدث المتفرد في اتصال من وضع الفكر: هو الحركة الغائية أو التسلسل الطبيعي. أما التاريخ الفعلي فإنه يبرز الحدث في تفرده ووحدته، ولا يعني الحدث هنا قراراً أو معاهدةً أو حكمَ دولة أو معركة، وإنما علاقة قوى تنقلب، أو سلطة تُنتزع، أو لغة تُتبنى وتُستعمل ضد أصحابها، أو هيمنة تضعف وتفتر وتتأكل لتفسح المجال لهيمنة أخرى تظهر في شكل مقنع))[٨] ، فإذا كان التاريخ التقليدي يعمل بمعية السلطة وتحت نفوذها؛ فالتاريخ الفعلي على العكس من ذلك يسعى إلى تعرية هذه العلاقة وكشف الغايات التي تختبئ وراء كتابة التاريخ ((إنه ينظر من زاوية بعينها، قصد التقويم، قصد الرضى وعدم الرضى، قصد تتبع آثار السم، والحصول على أحسن ترياق))[٩].

تضع السلطة في كل العصور قيوداً على التاريخ، بل ولا تكتفي بذلك، فهي تعيد كتابة التاريخ من جديد بما يخدم توجّهاتها وأهدافها، وبما يعزز هيمنتها وديمومة بقائها، لذا لا يمكن التسليم المطلق بكل ما يروى((إنّ التاريخ غالباً علمٌ سلطويٌّ وعن السلطة، يدور حول مقولتين هما الانتصار والهزيمة، يُنتجُ ويُعاد إنتاجه في مؤسسات سلطوية، لا تقتصر في الرقابة، حاذفة ما لا تريد ومبررة ما تشاء وترغب، ... يكتب المنتصر تاريخ انتصاره ويكتب فيه تاريخ الطرف الذي هزمه، كما لو كان المنتصر خالقاً للأزمنة والحقائق والكتابة))[١٠] فالذي يتحكم بالتاريخ ولعبتِه هو من يفوز بالقواعد ويتحكّم بها ويستأثر بها لنفسه، ويستعملها استعمالاً مغايراً، حيثُ يقوم بعكس هذه القواعد والقوانين لترتدَّ إلى نحور من وضعها[١١].

تتّخذ الذاكرة المضادة موقفاً معادياً لكلِّ أشكالِ التاريخ الذي كُتب تحت ذريعةٍ ما أو لغايةٍ ما، وتمارس عمليةَ الكشفِ والتعريةِ ضدَّ هذا التاريخ ومن يقف خلفه، فالذاكرة المضادة ((تكون مشغولة بالمسكوت عنه والمحجوب خلف موقف الإنكار أو التستر، وبدلاً من التاريخ الخطي المشغول بحياكة خطاب منطقي متصل، تنشغل الذاكرة المضادة بما يبدو وكأنّه بلا تاريخ كالحياة اليومية والغرائز، والعواطف، وغيرها من مشاغل الفرد المباشرة))[١٢] ، وهذا يعني أنّ مصطلح الذاكرة المضادة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسرد المرجعي عامةً، لا بسرد شهود العيان فحسب، ذلك السرد الذي يستخدم أصحابه عبارة (أنا أتذكر) عند الكتابة كما ذهبت الباحثة ريكو تاتشيبانا[١٣].

الذاكرة المضادة والرواية

إنّ علاقة الرواية بالذاكرة المضادة علاقةٌ حميميةٌ، لا انفصالَ فيها، ولا فراقَ، وذلك لأنّ الرواية كانت وما زالت هي أكثرُ الأجناس الأدبية قدرةً على تطبيق مقولات الذاكرة المضادة وتبنيها، ولأنّها ومنذ البدء كانت تنحاز إلى طبقة المهمشين والمقموعين، حيثُ استطاعت رسمَ

تاريخٍ آخر مغاير عن ذلك التاريخ الذي كُتب تحت أوامر وتوجهات المركز، الذي يسعى ويتطلع دوماً لإقبار صوت الهامش(١٤)، فالرواية بتدوينها هذا التاريخ تصبح ((هي التاريخ غير الرسمي للبشر الذين لا تاريخ لهم، بشر القاع الاجتماعي المهمشين والطامحين إلى مغادرة قاعهم))(١٥) أمّا الروائي العربي الحديث فقد كان أكثرَ أمانةً وشجاعةً وصدقاً في تعامله مع المادة التاريخية، أكثر من المؤرخ الرسمي، وذلك لأنّه تجنّب الامتثال والخضوع للتاريخ الرسمي الذي كان مشغولاً بسرد أفعال السلاطين والملوك والأمراء، وإنما كان منحازاً وبشكل واضح للتعامل مع تاريخ الإنسان المهمش والمسحوق، وسردِ أحلام هذهِ الطبقةِ ومعاناتِها وتوقِها إلى الحرية والعدل، وبهذا التوجّهِ قدّم الروائيون قراءةً مختلفةً ومنفتحةً لما هو مسكوت عنه من أنساق كانت مغيبة ومدفونة تحت ركام ثقيل من الكذب والتضليل(١٦).

لا تختلف نظرة الرواية ما بعد الحداثية عن موقف الذاكرة المضادة من التاريخ، فإذا كانت الأخيرة تعترض التاريخ ولا تكتفي بتسجيل وقائعه وأحداثه؛ فهذا الاعتراض هو دور الأدب ما بعد الحداثي–الذي تنتمي له رواية السيرة الغيرية– فهو ينتج الماضي مشاركاً، ومسائلاً، ومستجوباً(١٧)، فالذاكرة المضادة هي ((سيرورة لقراءة التاريخ ضد ميله الفطري، والاضطلاع بدور فعال معترف به في تأويل التاريخ، عوضاً عن مجرد الاكتفاء بدور المعاينة السلبية))(١٨) ، فالباحثة برندا مارشال ركزت في مفهومها على قضية التعاطي مع التاريخ تعاطيا ايجابياً، يبتعد عن المعاينة السلبية التي تسلّم بأطروحاته دون أنْ تعملَ على فحصِه، وقراءتِهِ قراءةً متأنيّةً ودقيقةً، متوسلةً بالتأويل الذي يتجاوز المعاني الظاهرة ليبحثَ عما هو مستورٌ ومخبوءٌ تحت هذا الظاهر، لكشف تلك الخطابات المضمرة والغايات المبيّتة، فالذاكرة المضادة لا تلتزم بقوانين التاريخ الحقيقي بل تعمل على إنتاج قوانينِها الخاصة بها(١٩)، بعيداً عن قيود السلطةِ وتدخلاتِها(*).

والخلاصةُ أنّ وضعَ مفهومٍ لمصطلح الذاكرة المضادة –كما هو واضح– أمرٌ ليس بالسهل والهيّن؛ لأنّ كلَّ باحثٍ يشتغلُ في هذا الاتجاه يعمل على تطويعه ومنحِهِ مفهوماً مختلفاً أو مغايراً للمفهوم الآخر؛ نظراً للمادة التي يشتغل عليها من جهة، وقدرةِ هذا المصطلح على التناغم مع الدور الذي يلعبُهُ أدبُ ما بعد الحداثة من جهة أخرى، ولأنّ البحث سيشتغل على نصٍّ روائيّ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسرد السلطة، ويعمل على رسمِ ملامحِ تاريخٍ عملتِ السلطةُ وتاريخُها المزيفُ على تغييبِهِ وطمسِهِ، فالذاكرة المضادة من وجهة نظر البحث، هي الذاكرة التي تسعى لكتابة تاريخٍ مغايرٍ للسلطة تُبرزُ فيه عيوبَ هذه السلطة وممارساتِها، وتعملُ على تعريةِ تاريخِها المزيفِ.

البعث وذاكرة العنف

يعرف الجميع أنَّ حزبَ البعث العربي الاشتراكي وصل إلى السلطة، وحكم العراق من تاريخ (١٩٦٨ــ ٢٠٠٣) وسقط على يد القوات الامريكية وحلفائها، وتعدُّ الفترة التي حكم فيها هذا الحزب فترةً مظلمة من تاريخ العراق بالنظر للحروب التي دمرت البلد، وأخذت مأخذها وأثرت في تطوره واستقراره. أمّا اليوم فنحن نسمع أصواتاً تأتي من هنا وهناك تمدح هذا النظام، وتمجّد به وبرجاله، وهذا التمجيد والمدح سيرسم صورة مغايرة للأجيال القادمة مما سيسهم في تشويه التاريخ وغياب الحقائق. من هنا تأتي أهمية رواية (عالم صدام حسين)[٢٠] التي تسلط الضوء على عيوب هذا النظام وتكتب تاريخَ هذا الحزب والوسائل التي استعان بها للوصول إلى السلطة متخذة شخصية (صدام حسين) شخصيةً محوريةً تدور حولها الشخصيات الأخرى، ولكل شخصية قصتها الخاصة التي تدخل في بناء هذا العالم الروائي الكبير، فالتركيز على النفس والتجربة الفردية أمرٌ في غاية الأهمية لأنهما مقياس تمثّل التاريخ والواقع، وهما السبيل إلى الوعي الذي لا يكون إلا آنياً[٢١].

تفتتحُ الرواية عملية السرد بالإشارة إلى تاريخ مظلم وتحديداً سنة (١٩٩١) فهذا التاريخ كما يتذكره الكثير من الكبار؛ كان تاريخاً أسودَ بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ففيه قصفت الطائرات الامريكية العراق وهدمت الكثير من بناه التحتية، نتيجة تهور النظام الحاكم آنذاك. فترسم لنا الرواية في مستهلها مشهداً مؤلماً أو في الحقيقة ترسم مشهدين، الأول للرئيس ببدلته ونياشينه الكثيرة في ملجئه الخاص، الذي يحميه من الصواريخ والانفجارات، أما المشهد الآخر فهو يصور الأحياء السكنية وأهلها المذعورين الخائفين من الطائرات وصواريخها، ففي هذا الوقت الذي كانت فيه سماءُ بغدادَ تختنق بفعل الدخان المتصاعد؛ ينام صاحب أعلى سلطة في البلاد محتمياً تحت الأرض بينما يعاني شعبه من الموت الحتمي[٢٢]. إنّ هذا الاستهلال يرسم لنا خطين متوازيين خطَّ الرئيس الذي يعيش في وادٍ، وخطَّ الشعب، ويفصح لنا عن مدى التباعد بينهما، فنتيجة للسياسات الخاطئة التي اعتمدها الرئيس صدام حسين؛ عانى الشعب سابقاً، مثلما نعاني اليوم، وستعاني الأجيال القادمة في المستقبل.

تستذكر الرواية تاريخ هذا الرئيس وحزبه لا على طريقة التاريخ الذي يدّعي تقديمه الحقائق بل من خلال عملية المزج بين الحقيقة والخيال لتقدّم الحادثة بحلة جديدة تجمع بين خطابين تاريخيٍّ من جهة وأدبيٍّ من جهة أخرى، وهو خطابٌ ثالثٌ مختلفٌ عن الخطابين السابقين يعتمد الذاكرة التي اختُزِلَتْ هنا إلى استذكار وهذا ما جعلها تعمل في سياق الخطاب التخييلي[٢٣]. تستعيد الرواية طفولة الرئيس التي لم تكن طفولة عادية، فقد نشأ في بيئة مليئة

بالقسوة والتعذيب، حيث كان يعاني من قسوة عمه، وأطفالِ قريته، ولعلّ هذا ما يفسر ميله الشديد للعنف والقتل، كما يمكن أنْ نعللَ امتلاكه صفة الجرأة والإقدام، والقدرة على اقتحام الصعوبات إلى عمليات السطو والسرقة التي كان يقومُ بها في طفولته بتكليف من عمه (حسن الكذاب)[٢٤].

كان صدام في شبابه يعدُّ اليد الضاربة لحزب البعث، إذ كان يتصدّى للدفاع عن الحزب ودائما ما كان يتبرَّع لتصفية أعداء الحزب، فقد كان متشدداً في انتمائه، كان يرفض كلَّ محاولة للنيل من الحزب أو من رمزه الأكبر (ميشال عفلق) ، فعندما شتم ضابطٌ البعثَ وعفلق قام صدّام مع ثلاثة بعثيين بنصب كمين له وضربه ((كان يعبر بين أولاد يتقاذفون طابة حين أصابته خبطة قوية على قذاله، ثم ضربة أخرى على كليته اليسرى. وجد نفسه على الأرض، وحين حاول أنْ يرفع رأسه تلقّى ضربة فضيعة في وجهه. بعد ذلك انهالت الركلات، وضربات بعصي وهراوات. سالت الدماء من أنفه وفمه وأذنيه. التم على نفسه. طوال الوقت كان يسمع صرخات الأولاد المذعورة، ثم غاب عن الوعي))[٢٥] ، كما يسرد لنا الراوي العليم نية صدام الوحشية ونفسه الطائفي عندما خطط لقتل إمام جامع وصف البعثيين بقطّاع الطرق، فبعد أنّ كانت المهمة التهديد فحسب، قرر صدام قتله مباشرة ((في تلك اللحظة أيقن صدام أنَّ ضرباته بعد يومين ستكون كلُّها مسددة إلى قبة الرأس العابرة تحته، في الزقاق، بالعمامة السمراء النحيلة. أيقن – مستغرباً الكراهية التي دبّت فيه– أنَّ ذراعه تريد أنْ تصيب من الرأس المعممة مقتلاً))[٢٦] ، بعد أنْ اطاح عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بالنظام الملكي، أدرك البعثيون جيداً أنّهم إذا أرادوا الوصول إلى السلطة فلابدَّ أنْ يستعينوا بطرق سريعة فوجدوا أنَّ القتل والترهيب هما السبيلان الوحيدان لذلك، لأنّ الخصم كان يمتلك القوة بسيطرته على الجيش من جهة ولوجود حزب يمتلك شعبية أكبر هو الحزب الشيوعي، فكثف الحزب من عملياته التي كانت تسعى لإضعاف حكم قاسم، فكان صدّام خير معين في هذه المهمات التي تليق به وكأنّه خلق من أجلها ((الأمر الحزبي كان واضحاً: تصفية فؤاد حيدر التكريتي، موظف حكومي بارز مقرب من قاسم ومرشح لدخول المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي. قبل طلوع الفجر نُفذت العملية. مات الرجل ممزقاً بثلاثة سواطير في سريره الأبيض الكبير))[٢٧] ، لقد كان تأثير هذه العملية مضاعفاً حيث استطاعوا قتل رجل ينتمي إلى عدوين مباشرين للحزب، عبد الكريم قاسم، والحزب الشيوعي.

إنَّ الركون للغة العنف يكشف لنا ضعف هذه الجماعة على مستوى التنظير، كما أنّها لا تستطيع أنْ تواجه الآخر مواجهة حضارية، فكانت لغة العنف هي السائدة في قاموسها، فقد توقعت أنَّ الاطاحة بهرم السلطة واغتياله هو الطريق الوحيد أمامها لإضعاف الجبهتين معاً، حيث كان الشيوعيون أنصاراً لقاسم وكان يستعين بهم لمواجهة أعدائه كما حدث في القضاء على

ثورة العقيد عبد الوهاب الشواف. في محاولة اغتيال قاسم تصف لنا الرواية مدى حماس صدّام وفرحه وهو يتلقى المهمة، فقد كانت مهمته حماية المهاجمين وتغطيتهم، إلا أنه ولشدة حماسه خرج عن الخطة وفتح النار مع زملائه مما جعله يتلقّى رصاصة في فخذه ((لم يكن مطلوباً منه إطلاق النار وإنّما تأمين حماية رفاقه الأربعة والانسحاب بعد أنْ يكون هؤلاء انسحبوا. لكنه لشدة حماسه وجد صدّام حسين نفسه يسحب رشاشاً صغيراً من تحت سترة طويلة أخذها من خاله ... ويطلق النار على سيارة عبد الكريم قاسم))[٢٨] ، إنّ فشل هذه المحاولة كانت في صالحهم في حقيقة الأمر، لأنّهم لم يقرؤوا الأحداث جيداً، فلو كانت العملية ناجحة لكانت الأمور ستؤول إلى الحزب الشيوعي الذي كان أقوى في تلك الفترة، وهذا ما أعترف به أعضاء الحزب بعد ذلك، فقد تأثرَ حزبُ البعثِ بهذه المحاولة تأثراً سلبياً وإيجابياً، لأنّ بعدها أُعتقِل الكثيرُ من أعضاء الحزب وهرب بعضُهم إلى الخارج، فضلاً عن ذلك أن فشلها أفضل من نجاحها لأنَّ نجاح العملية سيؤدي إلى تسلم الشيوعين السلطة بصورة تلقائية، لعدم وجود بديلٍ عنهم آنذاك[٢٩]. بعد هذه المحاولة اكتسب صدّام حسين الشهرة، وصار معروفاً لا بين رفاقه في العراق؛ بل تجاوزت شهرته ووصلت إلى سوريا، فهذه المحاولة خطّتْ المنهج الذي يجب أن يسير عليه للوصول إلى السلطة، وخصوصاً بعد أنْ التقى بالرفيق الأكبر ميشال عفلق في سوريا، بطلب من الأخير[٣٠]. فالسلطة التي سعى إليها رُسمتْ ملامحها بالدم، ولا يوجد غير الدم للمحافظة عليها.

لم يكن صدّام يعرف أسلوباً آخر غير العنف، فقد كانَ مؤدلجاً ومؤمناً أنَّ بالعنف فقط يستطيع أنْ يحكم الجميع ويحافظ على سلطته، لذا كان يبحث عن هذه الأيديولوجيا عند الرئيس جمال عبد الناصر، حيث كان معجباً بقدرته على ضرب أعدائه وحتى حلفائه إذا اضطر لذلك، ورميهم بالسجن ومع ذلك يبقى محتفظاً بحبِّ الجماهير، كان يراقب((أسلوب عبد الناصر في الحكم ووصل إلى خلاصات لن ينساها بعد ذلك. يمكن للحاكم أنْ يضرب الأحزاب، ويُسمح له حتى أنْ يرمي حلفاءه في السجون، ولكن بشرط واحد: الاحتفاظ بالقدرة على إقناع النفس بصواب أفعاله. إذا اقتنع هو، لا بدّ أن تقتنع الجماهير. إذا اقتنع هو، وبالدهاء الكافي، يستطيع إقناع الجماهير))[٣١]، فصدام كان له رأيٌ مختلفٌ بعض الشيء، فإذا كان الناصر يمتلك أسلوب الإقناع وقوة الخطاب، فإنّه سيستخدم القوة لجعل الجماهير تخافه وتهابه، فبها سيضمن سكوتهم وخضوعهم ((إذا لم يحبوك علّمهم أنْ يخافوك ...إياك أنْ تكشفَ مركزك الحقيقي، مقدار قوتك، قبل أنْ يدرك الجميع أنّك فعلا مصدر خطر، أنَّك الأقوى والأشرس))[٣٢] ، وفي الحقيقة كان هذا الأسلوب ناجحاً معه، فقد استطاع النظام البعثي المحافظة على حكمه وسلطته لأكثر من ثلاثة عقود باتخاذه هذا النهج، ولم تستطع إلا القوات الامريكية الاطاحة به، ولولاها لكان يحكم العراق إلى يومنا هذا بالنظر للقدرات التي كان يتحكم فيها.

تسلط الرواية الضوء على وقائع كثيرة ترتبط بذاكرة العنف، وهذه الوقائع لكثرتها احتلت مساحة كبيرة من جسد الرواية، وهي ترتبط ببعضها لتشكّل باجتماعها عالماً مليئاً بالوحشية والدماء، وأغلب هذه الأحداث تاريخيةً تقدّمُها الروايةُ مستعينةً بفعل التحبيك، وذلك لتأويل هذه الوقائع وإيجاد العلل التي تختفي وراءها ((إنَّ ذاكرة العنف تعتبر ظاهرة اجتماعية متعددة الأوجه يتجاوز تأثيرها نطاق الفرد إلى المجتمع، فإنّ الحاجة إلى سرد أحداثها وتفاصيلها في الرواية تتعين بوصفها شكلاً لمفاوضة تجارب الماضي والحاضر، من خلال النبش في الهوية الفردية والجماعية، وإعادة بناء مفهومها على نحو يفتح أفقاً جديداً أمام الذاكرة الجريحة))[٣٣]. إننا عندما نقوم بقراءة التاريخ فإننا لا نبحث عن الواقعة فحسب، بل ما يترتب عليها من أحداث لاحقة وما هو مضمر خلفها، أو بصورة أوضح يهمنا أنْ نعرف الأسباب التي أدّتْ إلى وقوع هذه الحوادث، إننا عندما نقرأ الرواية نكتشف الحادثة من جديد ونقرأها قراءة داخلية، نطلع فيها على نوايا الشخصيات، حتى وإنْ كان هذا الاطلاع عن طريق واسطة وهي الراوي، الذي يقوم بتعرية الشخصية أمامنا، فهذا الفعل هو فعلٌ تأويليٌّ ينطلق من الخارج إلى الداخل ثم يقوم بالعكس، وهذه فضيلة الروائي في التخييل المرجعي عموماً، أنّه يقرأ الشخصيات التاريخية من الخارج، ثم يغوص في دواخلها، وبعد ذلك يمارس عملية الكتابة. رأى صدام أنّ الحزب بحاجة إلى جهاز خاص يتولّى عمليات القتل والتصفية لأعداء الحزب فانشغل ((في تشكيل جهاز أمني أطلق عليه اسم (جهاز حنين) واختار عناصره عنصراً عنصراً من كوادر الحزب الأشد إخلاصاً، والأصعب مراساً، والأقل كلاماً))[٣٤] ، فبعد أنّ صار اسماً معروفا بالحزب، وعضوا في (القيادة القطرية) للبعث العراقي، ونائباً للأمين العام للبعث العراقي[٣٥]، لم يعد لائقاً أن يتولّى عمليات القتل بيده صار يكفيه إصدار الأوامر لأعضاء الجهاز، وهذا ما يؤكّدُ ((أنَّ كلَّ ارتقاء في مراتب الجهاز السلطوي يواكبه سقوط في الروح، وتشرّد شيطاني في المجهول، وبالتالي يمثل صعوده صورة ساخرة للسقوط))[٣٦].

نشط عمل هذا الجهاز في عهد عبد الرحمن عارف، لأنَّ السلطة كانت ضعيفة، فاستغلَّ الحزب ذلك وأخذ ينفذ ضربة تلو الأخرى، ويختار الضحايا بعناية كبيرة حتى وإنْ كانوا ينتمون للحزب نفسه ((ليل ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٦، بينما العقيد يحيى عمران من قوات سلاح الجو، يغادر (بار البحرين) مترنحاً بين ثلاثة مرافقين ومجموعة من السيدات، خرج ثلاثة رجال مسلحين بالرشاشات من سيارة بويك خضراء اللون متوقفة في الجانب المقابل من الشارع، واقتربوا بلا أي كلمة، وبهدوء، من المجموعة المخمورة، ثم فتحوا النار))[٣٧] ، في هذا التاريخ صار البعث أقوى وأكثر تنظيماً من قبل، فضلاً عن ذلك أنّ النظام الحاكم كان ضعيفاً ولا

يستطيع القضاء على هذه العمليات الممنهجة كما أنّها لا تعرف الأشخاص الذين يسعون لاغتيالهم، الأمر الآخر أنّ تصفية الضباط البعثيين ستبعد عنهم الأنظار بدعوى أنْ الحزب لا يصفي أعضاءه وبالخصوص من يمتلكون مناصب عسكرية مهمة.

تركّز الرواية على عمليات التصفية التي قام بها الحزب ضد أبنائه، لتكشف لنا وجها قبيحاً آخر من وجوه هذا الحزب ورجالاته، فلم يكتف صدام بعمليات التصفية تلك بل يقوم باتهام آخرين من أعضاء الحزب الذي يسعى إلى تصفيتهم تمهيداً لذلك، وهذا في الحقيقة من أبشع صور الإجرام التاريخي، لأنَّ فيه تجتمع كلُّ صفات الخسة والنذالة والكذب وغيرها من الصفات المذمومة ((استدعي النقيب صلاح مهدي الصقر للتحقيق ... أمام لجنة حزبية خاصة تشكّلت من ٣ أعضاء من القيادة القطرية للحزب، إضافة إلى رئيس جهاز أمن الحزب صدام حسين ونائبه ناظم كزار. المتهم نفى التهمة ... بعد ثلاثة أيام عُثر على النقيب صلاح مهدي الصقر جثة هامدة في حقلٍ قريبٍ من المجمع السكني لضباط سلاح الجو. قتلته رصاصة واحدة ثقبت سقف حلقه وخرجت من قبة الجمجمة))[٣٨] ، تحرّك الرواية في القارئ غريزة الفضول عندما تذكر شخصيات تاريخية معروفة وتقوم في الوقت ذاته بإدخال شخصيات غير معروفة في الأحداث، فعملية الدمج هذه ستدفع القارئ إلى اكتشاف تاريخ آخر للضحايا التي عملت السلطة على إخراسهم بشتى الطريق والوسائل. فإذا كانت شخصية يحيى عمران وصلاح مهدي الصقر وغيرهما شخصيات خيالية في النصّ، فهي تشير إلى آلاف الشخصيات التاريخية التي مُورست ضدها هذه العمليات. إنّ مهمة الاستذكار هنا تتجاوز قضية التاريخ والأدب لتصبح مهمة إنسانية في المقام الأول، إنّ الروائي الذي يقارب تاريخَ نظامٍ سياسيٍّ مارس عمليات قمع وقتل ضد أبناء شعبه، يجب أنْ يقوم بفضح هذا النظام وتقويض سلطته، والعمل على كتابة تاريخه سلباً ((أرادتِ الرواية العربية، وهي جنسٌ أدبيٌّ هامشي بالمعنى المجتمعي، أنْ تكتبَ تاريخ السلطان سلباً متوسلة مآل الإنسان المحكوم، كأنَّها وهي تكتبُ تاريخ المقموعين، تردُّ على تاريخٍ سلطويٍّ لا ينقضي، وحدّ بين الكتابة والسلطة، ولا يزال))[٣٩] ، فقد كان الهاجس الأساس للرواية الجديدة هو بلورة علاقة مختلفة ومغايرة مع الماضي، سمة هذا العلاقة النقد والفضح والتعرية، فتنهض بهذه المهام من خلال اكتشاف مناطق وأمكنة وفئات كالهامش والأقليات، وذاكرة الجماعات، كالجماعات الاثنية والدينية وجماعات المهاجرين وغيرها[٤٠].

بعد توبيخ البكر لصدام، اضطرَّ الأخيرُ وجهازه الخاص إلى تغيير منهجه في القتل، حيث ستكونُ العمليات مدبرة بإتقان بعد الآن، وكأنّها حوادث طبيعية، وذلك لأنّ الحكم لم يؤول إلى البعث بعد، فنفّذ الجهاز مجموعة من الاغتيالات ((الحادث الأول وقع بعيداً من العاصمة.

الضابط الشيوعي إحسان الجادرجي ... لقي حتفه على طريق الموصل- كركوك حين انحرفت سيارته عن مسارها. بعد ثلاثة أسابيع على هذا الحادث قضى الرقيب البعثي رفعت شيرزاد بانفجار قارورة غاز في منزله في الرصافة. في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ هوت لافتة نيون ضخمة على رأس النقيب البعثي غازي السعدون أثناء عبوره الشارع الذي يحمل اسم سلفه محسن السعدون، فانفتحت جمجمته وقُتل على الفور متفحماً بشرقطة الكهرباء))[٤١] ، إنَّ ما يلفت النظر في العالم الذي شكّله مهدي حيدر، أنّه عالم لا يتشكّل من عملية المزج بين الشخصيات التاريخية والخيالية فحسب، بل أنّه يقوم أحياناً بإدخال شخصيات تاريخية مشهورة كان لها مصيرٌ مختلفٌ عما نجده في هذا العالم، إنّ هذا النوع من الانحراف التاريخي لا يجب أن نتعامل معه تعاملاً سطحياً، فالروائي لا يريد ايهامنا بالتخييل فحسب، بمعنى أنّه يريد فحسب أنْ يوجّه عملية التلقي الوجهة التي يريدها بعيداً عن التلقي التاريخي التقريري.

لقد اختار الروائي شخصياته الثانوية بعناية، وأعني هنا تحديداً الشخصيات التي كان مصيرها التصفية والقتل، والتي مورست ضدّها عمليات العنف، وهذه القصدية في الاختيار، يؤكدها المحور التركيبي والسياق الذي وردت فيه، فعندما يقوم الروائي باختيار شخصيتين تاريخيتين كان لهما دورٌ فاعلٌ في المجال الإبداعي والسياسي، ويشركهما في عملية السرد ويجعلهما ضحيتين من ضحايا الحزب، فهو يريد أنْ يشير إلى قضية مهمة تتعلق بمصير الكثير من الشخصيات التي اغتيلت وهُجّرت وحُرمَ البلد من طاقاتهم وقدراتهم، وهذه الطاقات والقدرات والامكانات الرائعة التي تتوفر عند هؤلاء كان يمكن استثمارها جيداً لخدمة هذا البلد ومنحهم الفرصة لبنائه وتطويره.

إنّ شخصيتي (إحسان شيرزاد)[**] و(رفعت الجادرجي)[***] في الحقيقة شخصيتان تاريخيتان، توفي الأول (٢٠١٥) والثاني(٢٠٢٠)، إلا أنّ الروائي قام بتغيير اسم الشهرة بين الشخصيتين ليدلل على قضية الشراكة التي كانت تجمعهما أو النقاط المشتركة الكثيرة التي تجمع بينهما، فقد اشتركا مع إحسان كامل في تأسيس مكتب (الاستشاري العراقي) عام ١٩٥٣[٤٢]، فهما شخصيتان مبدعتان في مجال الهندسة والإعمار، وتسلما مناصب كبيرة في أكثر من حكومة، وقدّما الكثير لهذا البلد، إلا أن النظام البعثي لم يستثمر طاقاتهما استثماراً جيداً، مما دفعهما إلى مغادرة العراق وتوفيا خارجه، انتقى الروائي هاتين الشخصيتين ليشير إلى الأسلوب الذي كان يحكم به النظام البعثي العراق، فهو لم يكن يمتلك أية استراتيجية للبناء، فقد كان نظاماً قمعياً ديكتاتورياً هدفه الهدم لا البناء، وبالنظر لهذا الأمر فليس من المستغرب أنْ يتعامل مع مبدعي البلد بهذا الأسلوب الهمجي؛ لأنّه لا يعرف غيره، وبه فقط ستستمر سلطته بالنمو والاستفحال.

إنّ استثمار هاتين الشخصيتين التاريخيتين عميق جداً، وذلك لأنّه يشير إلى مرحلة تاريخية كان الإبداع فيه سبةً، والمبدع مهدداً بالقتل والتعذيب والتهجير. فالرواية تطرح سؤالاً ضمنياً مهماً يستفهم عن اعداد المبدعين الذين لقوا هذا المصير في ظلّ هيمنة البعث ورجاله؟. وهو السؤال الذي يتكرر مع كلِّ عمليةٍ إجرامية قام بها صدّام ومعاونوه، ويبقى السؤال مؤجلاً دائماً، لعدم توقف تلك العمليات.

تنهض الرواية بمهمة جليلة تتعلق بعملية تمثيل تلك الأصوات المقموعة والمغيبة قسراً، التي عانت من سلطة البعث ووحشيته، تلك الأصوات التي لم يستطع التاريخ التقليدي تمثيلها، وسرد أخبارها؛ لأنّ أدواته قاصرة عن ذلك، فجاءت الرواية لتكونَ صوتَ هذه الطبقة ولسانها، ذلك أنّ الذاكرة تعمل بمرونة وطواعية عندما تشترك مع التخييل والعناصر السردية الأخرى لبناء النصِّ الروائي. إنّ أهمَّ ما يلفت الانتباه في النصوص الروائية هو الاحتفاء بالذاكرة في نسيجها التلفظي، وطرحها كبديلٍ ضدَّ النسيان أو المحو(٤٣).

لم يصل البعث إلى السلطة بطريقة ديمقراطية أو عن طريق الانتخابات، فهو لم يكن يمتلك قاعدةً شعبيةً قويةً يستند عليها في تلك الفترة، فكانت سياسة العنف مطيّته الوحيدة للوصول إليها، وكان رجاله مؤمنين بهذا إيماناً مطلقاً، فبعد اشتراك الحزب بالانقلاب على عبد الكريم قاسم وخيانة عبد السلام عارف له؛ انعدمت ثقته بالآخرين وخطّط للانقلاب على عبد الرحمن عارف بمعاونة أعمدة نظامه العقيد عبد الرزاق نايف(رئيس الاستخبارات العسكرية) والعقيد عبد الرحمن داوود(رئيس الحرس الجمهوري) وغيرهما، إلا أنّ هذين اشترطا على البعث أنْ يتولّى نايف رئاسة الوزراء والآخر وزارة الدفاع وكان لهما ما أرادا(٤٤)، لكنهما لم يعلما أنَّ البعث سينقلب عليهما وأنَّ الخطة معدة مسبقاً((لن نضع عدواً آخر في السلطة. ما إن ينجز العقيدان نايف وداوود الانقلاب على الرئيس عارف حتّى تنتهي حاجة(البعث) إليهما. علينا أنْ نتعاون معهما خلال الانقلاب لكن بعد ذلك مباشرة علينا تصفيتهما... لن نسمح بخطف السلطة من البعث مرة أخرى. وأتطوعُ شخصياً لتنفيذ عملية التصفية))(٤٥) ، فإذا كان البعث قد وصل إلى السلطة بهذه الطريقة الوحشية والمغلفة بالغدر والخيانة، فكيف سيحافظ عليها ؟، في الحقيقة أنَّ تاريخاً آخر من العنف سيُكتب في هذه المرحلة، وستضحى ذاكرة العنف ذاكرة فردية وجماعة بعد أنْ كانت في الغالب تصفيات لبعض الشخصيات، سنكتشف من هذا التاريخ صوراً جديدة من العنف، أحياناً يكون دافعها سياسياً هدفه المحافظة على السلطة، وأحياناً تتجاوز ذلك لتصفية شخصيات تنتمي للحزب نفسه ولكنّها تهدد مستقبل صدام حسين نائب البكر وخليفته في المستقبل.

بعد أنْ امتدت يد البعث لكلِّ مراكز القوى في البلد بدأتْ مرحلة ثانية، وهي مرحلة يمكن تسميتها بـــ(صراع الهويات والانتماءات)، ولا شكَّ أنّ العنف فيها سيتجاوز الفرد لتهديد الجماعة بسبب انتمائها الذي يختلف مع توجهات الحزب الحاكم ((المؤامرات تُحاك الآن بينما نعقد هذا الاجتماع، ومهمّتنا أنْ نكون لها بالمرصاد. المطلوب تصنيف جديد وفعّال لمعلوماتنا. أنْ نجمع الملفات حسب المحاور الاستراتيجية : الأكراد، اليهود، العراقيون من أصول إيرانية، الإيرانيون المقيمون في العراق، الشيوعيون المقسمون إلى جناحين، البعثيون الذين تعاونوا مع عارف في ١٩٦٣، البعثيون أصحاب العلاقات المشبوهة مع بعث سورية وسلطة صلاح جديد. لا يكفي أنْ تكون العيون مفتوحة والآذان مفتوحة. الثورة بحاجة إلى عقلٍ يفكر. وأنتم أدوات هذا الحقل))[٤٦] ، بدأ النظام يحشّد أفراده، ويجهّزهم لمعارك قادمة تهدد منجزاته، لأنّ المحافظة على النجاح كما يُقال دائماً أصعب من الوصول إليه، فإذا كان العدو واحداً واضحاً أمامهم، فمن الآن سيكون العدو أكبر وأكثر، ولا تُعرف مكامن قوته ومواطن أسراره ((في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٨ أعلنت الحكومة في بيّانٍ لوزير الداخلية العقيد عمَّاش، أنّ (أمن الدولة) كشف خليّة تجسسٍ صهيونية خطيرة في مدينة البصرة جنوب البلاد. طائرة عسكرية أقلعت من مطار البصرة بـــ ١٧ يهودياً أُثقلوا بالحديد ونُقلوا في عربات تخص(سجن بغداد) إلى (قصر النهاية)... ظهر الرئيس البكر على التلفزيون قبل إذاعة نشرة الأخبار المسائية وأعلن أنّ الأجهزة الأمنية الساهرة على حماية العراق وشعب العراق من الأعداء ومن الطابور الخامس ومن المشبوهين كشفت أخيراً خطة جديدة ومؤامرة شريرة تستهدف قلب النظام من أجل كسر صمود العراق الشجاع في مواجهة الخطط الرجعية والجشع الصهيوني ومؤامرات الامبريالية))[٤٧] ، من هنا بدأ مسلسل التصفيات الجماعية بذريعة المؤامرة والخيانة، فكل من يقف في طريق الحزب الحاكم أو يعارض توجهاته أو سياساته يُعدُّ خائناً ومشتركاً في مؤامرة لقلب النظام ويهدد أمن الدولة، وهذا يعطي الحق لقتله وإعدامه أمام الجماهير.

أقنع النظام البعثي الشعب بأنّ بلدهم مهدد من كل جانب، وأنّ هناك مؤامرات كثيرة تهددهم، وتهدد مستقبل بلدهم، وبهذه الاسلوب أخذ شرعيته من الشعب وصار حراً في ممارسة كل أشكال العنف على المناوئين والأعداء((بينما يتعرض جيشنا الباسل لهجمات العدو الصهيوني الغادر نواجه في داخل البلاد أعمالاً تخريبية يقودها الطابور الخامس والمتعاونون الأقلية مع أميركا وإسرائيل. هؤلاء الذين يختفون وراء جبهات وشعارات وأحزاب صار الشعب يرى من خلالها ويفهم ماذا تخفي. هؤلاء المشبوهون الذين ينفذون خططاً ويلعبون دورهم في المؤامرات الأميركية. بالتخريب والقتل ونشر الشائعات المغرضة يحاربون جيشنا الباسل في قلب بيته. الخونة الذين يريدون إلهاء الجيش عن العدو الصهيوني. هؤلاء الخونة ماذا تريدون أن نفعل

بهم؟ أدوات الامبريالية والصهيونية ماذا نفعل بهم؟))[٤٨]، بهذا الاسلوب المخادع اكتسب النظام الحاكم تصريحاً من الشعب بقتل كل من يقف في طريقه، فقد استطاع أنْ يخدع الشعب – الذي كان يفتخر بجيشه آنذاك لأنّه يواجه العدو الصهيوني مواجهة مباشرة– بإيهامه أنّ المؤامرة تهدف لإضعاف الجيش وإسقاطه من الداخل، لذا كان الجماهير تطالب النظام بإعدام كل من يريد أنْ يضعف عزيمة الجيش، فأخذ الحزب يفرغ الساحة من كلِّ المعارضين والرافضين لسياسته، حتّى أولئك الذين كانوا ينتمون للحزب، فكانت أقفاص الاتهام تضم يهوداً وشخصيات معادية للبعث، ومسؤولين بعثيين وضباطاً كباراً، ومسؤولين تسلموا مناصب في الحكومات السابقة، إلى جانب هذه المحاكمات العلنية التي كانت تبث، فإنّ مسلسل الاغتيالات كان مستمراً، ففي الوقت الذي هيمن البعث على السلطة سنة (١٩٦٨) خُطف وزير الخارجية السابق ناصر الهاني من أمام منزله وعثر عليه بعد ثلاثة أيّام وقد مُزقتْ جثته بالرصاص، وبعدها بأيام وُجد الضابط البعثي العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت مطعوناً بخنجر في سريره لأنّه كان مقرباً من بعث صلاح جديد[٤٩].

إنَّ وحشية الحزب وسياسته العنيفة التي اعتمدها منهجاً وسبيلاً له؛ لم يسلم منها أحد، حتى المؤسس الأول لحزب البعث في العراق فؤاد الركابي طالته يد البعث ((قبل أيّام قليلة من موعد إطلاق سراحه، بعد سنة ونصف على ظهوره التلفزيوني، استيقظ باكراً وحلق ذقنه ولبس ثيابه. حين انفتح باب زنزانته الانفرادية ابتسم. ابتسامته لم تكتمل. دخل رجل ضخم الجثة يرتدي ملابس السجناء النيلية وطعنه ثلاث طعنات في صدره. الحراس دخلوا وأبعدوا الرجل الضخم ثم نقلوا الركابي إلى المستوصف... انتظر الركابي الأطباء. لم ينتظر طويلاً. خلال أقل من عشرين دقيقة نزف جسمه كل ما فيه من دم))[٥٠] ، لم يقتنع الكثير بالقصة التي رويت حول سبب مقتله – شجار في السجن – لأنّها قصة لم تحبك جيداً، كما أنّ اختيار الزمان والمكان كان خاطئاً، ولا يساعدنا في تصديقها. كان وجود الركابي وأمثاله من القيادات الكبيرة يهدد استقرار السلطة ورجالاتها لما يمتلكون من مناصرين بين أوساط الحزب نفسه، فضلاً عن علاقاتهم الخارجية، فالركابي كان يعرف عبد الناصر، وعلاقته به قوية كما يذكر لنا التاريخ.

فالرواية كما هو واضح، لا تكتفي بسرد الحادثة التاريخية بل توجّه أصابع الاتهام للنظام البعثي وعلى رأسه صدّام حسين، الذي كان مسؤولاً مباشراً عن هذا النوع من العمليات. إنّ صدّاماً لا يقتل أعداء البعث فحسب، إنّما كان – كما قلنا– يصفّي الساحة من كل معارضيه في المستقبل، كل من كان يستشعر منه الخطر في المستقبل يجب أنْ يموت، بهذه الطريقة فقط يضمن ديمومة سلطته.

تسلط الرواية الضوء على صراع حزب البعث مع الحزب الشيوعي، فقد استطاع النظام البعثي القضاء على الحزب الشيوعي عندما اقنع الشعب أنّ الشيوعيين خونة وجواسيس، وهم مشتركون في مؤامرات ضد العراق والأمة العربية وضد البعث، ووجهوا ضربتهم القاضية للشيوعيين عندما امسكوا بـــ (عزيز الحاج) القيادي الشيوعي المعارض والرافض للاشتراك في حكومة البعث، جعله صدّام يعترف بالعمالة والخيانة أمام الكاميرا، وبهذا الاعتراف تحول الشيوعيون إلى خونة وعملاء ومجرمين بين ليلة وضحاها[٥١]. شكّلت هذه اللحظة علامة فارقة في تاريخ الحزب الشيوعي في العراق عامةً، وفي حياة الحاج بشكل خاص، فبعد أنْ كان مناضلاً كبيراً وقيادياً تحول إلى رجل منبوذ يلعنه الجميع.

تصوّر الرواية هذا الحدث تصويراً رائعاً تمزج فيه بين الواقعة التاريخية والتخييل، لتكشف لنا الأثر النفسي السيء الذي خلفته هذه الحادثة داخل عزيز الحاج ((بعد التصوير أخرجوه إلى الشرفة فرأى السماء بيضاء، ورأى دجلة أسود كما يروي المؤرخون أنّ لونه صار بعد أنْ رُميت فيه مجلدات المكتبة المستنصرية في الزمن السحيق، ورأى بغداد سوداء ورأى الأفق أبيض. فرك عينيه كي يرى بالألوان مرة أخرى. بينما العراقيون في أنحاء البلاد وإلى آخر نقطة يبلغها الإرسال يتابعون على الشاشة الصغيرة اعترافات عزيز الحاج بالأبيض والأسود. فرك عينيه حتى سالت الدموع على خديه. الدموع كانت سوداء... وحين رفع رأسه مرة أخرى رأى العالم أسود وأبيض يمتد إلى آخر لحظة في حياته))[٥٢] ، إنّ الأسلوب الشعري كان طاغياً في سرد أحداث قصة اعتراف عزيز الحاج، فهذه الواقعة أحرقت تاريخاً نضالياً كبيراً للحزب الشيوعي كما أُحرقت مكتبة المستنصرية من قبل المغول، فقد استطاع النظام البعثي بهذه الحركة القضاء على أحد أكبر معارضيه، إنّ طغيان اللون الأسود كناية على قبح الواقعة ومخلفاتها، التي ستحيل كل شيء إلى سواد، وستسلم العراق وشعبه إلى البعث تسليماً كاملاً فبسقوط الشيوعيين سيكون البعث هو الحزب الأكبر في العراق، كما أنّ اللون الأسود يرمز للتاريخ الأسود الذي سيلاحق الحاج إلى آخر حياته. في هذه اللحظة كتب الحاج تاريخاً جديداً له خالياً من المعاني، تاريخاً لا ينبض بالحياة يهيمن عليه لونان، الأبيض الذي يشير إلى التاريخ المفقود، والأسود الذي يشير إلى واقعه المظلم والمليء بالعار والخيانة.

إنّ عزيزاً الحاج الذي خرج من سجن البعث، وعاش بعد ذلك سنيناً طويلة ومات في ٢٠٢٠ هو في الحقيقة مات قبل هذا التاريخ بكثير، وتحديداً بعد ذلك الاعتراف، الذي استطاع فيه البعث توجيه رصاصة قاتلة للحاج وللحزب الشيوعي، والروائي كان واعياً لهذا الأمر، فعمل على إنهاء حياة الحاج على يد البعث لكي تكون القصة مكتملة، فشخصية اشكالية مثل الحاج لا يمكن أنْ تفلت من يد الروائي قبل أنْ يرسم لها نهاية تليق بأفعالها، فالقتل المعنوي كان حاضراً

في التاريخ وينقصه قتلاً مادياً يمحي تاريخ هذه الشخصية من الوجود ((أراد أنْ يفتح فمه لكنه رأى ساطوراً لامعاً يخرج من معطف أسود ثم سمع الخبطة... لم يعد يعرف أين هو. شخط الدم من جسمه وأضاع رأسه. أين أنا؟ تدحرجت رأس عزيز الحاج في الشارع ثم ارتطمت بغطاء حديد وتجمدت. كان ذلك غطاء مجرور تركه عمّال البلدية مرفوعاً))[٥٣] ، تسرد لنا الرواية تاريخاً آخراً كان يجب أنْ يكون حاضراً في قصة عزيز الحاج التاريخية، لأنّه كتب تاريخ موته في ذلك الخطاب المشؤوم، واختار حياة ذليلة، وخاتمة تعيسة بدل الموت في عزّة وشرف كما فعل الكثير من رفاقه المناضلين.

لقد فهم البعث مفاتيح لعبة الهيمنة، وأيقن رجاله وعلى رأسهم صدّام أنّ الفوز بهذه اللعبة يتطّلب التجرد من العواطف والأحاسيس، لأنّهما يضعفان الإنسان، ويحدّان من امكاناته الوحشية، وتعطشه للدماء والقتل((عاصفة جنون ورعب ضربت بغداد. البيوت تُقتحم. الرجال يُجرون من الأسرة. السيارات تحترق. الناس يختفون في وضح النهار ثم يظهرون بعد ليالٍ بين النفايات، وعلى وجه دجلة. مئات الشيوعيين قتلوا بالرصاص والبلطات والخناجر والحراب. إذاعة بغداد أعلنت أنَّ كلَّ من يخفي شيوعياً في بيته يُعتبر شيوعياً ويُعدم مع الخونة والعملاء والقتلة))[٥٤] ، إنّ عالم مهدي حيدر يغلق الباب أمام المؤرخين الذين يرومون كتابة هذا التاريخ، ويجبرهم على التعاطي معه تعاطياً موضوعياً، وعدم التغاضي والانحياز للسلطة بإهمال هذا الوقائع التاريخية، فالاستذكار الذي تنهض به الرواية كان يقوم بدورين، الأول يتعلق بتدوين هذه الأحداث وروايتها من وجهة نظر مختلفة لا يشكُّ القارئ على الأقل باقترابها من الواقعة التاريخية، فضلا عن ذلك أنّها تقف في وجه كل محاولة قادمة لتزييف الحقائق، وتشويهها، وهذهِ في الحقيقة من أهم وأجل الوظائف التي ينهض بها التخييل السيرغيري.

تستذكر الرواية حادثة جمعت صدّام مع إحدى عشيقاته، وفي هذه الحادثة تتجلى صورة أخرى من صور النذالة والخسة عنده، وتكشف لنا الحادثة الكيفية التي كانت تُستغل فيها السلطةُ آنذاك استغلالاً سلبياً لإشباع الغريزة الجنسية، فإذا أعجب صدّام بامرأة يجب أنْ يحصل عليها حتى وإنْ كانت متزوجة، لأنّه سيجد ألف طريقة للخلاص من الزوج، ما دامت التهم حاضرة والقوة موجودة، فالرواية تحدثنا عن شخصية عبد الهادي جعفر التاجر العراقي البصري الذي تزوج من اليونانية كريستين، التي كانت تجمعها علاقة بصدّام سابقاً، وحين علم الأخير بزواجها أرسل قوة للقبض عليه، وقد أشرف ناظم كزار– رئيس أمن الدولة– شخصياً على اقتحام منزله بتهمة التآمر لاغتيال الرئيس البكر والانقلاب على سلطة البعث[٥٥]، تسرد لنا الرواية في هذه الحادثة وحشية النظام ولا إنسانية رجاله في التعامل مع السجناء، فالأسلوب المتبع في التحقيق لا يمت للإنسانية بصلة، ففي سبيل نزع الاعتراف قد يهدد السجين بعائلته وكل من يحب ((ناظم كزار طلب كرسياً ثمَّ جلس أمام المتهم وأخبره أنّه أمام ٣ خيارات:

١- يدقون مسامير في جسم الأخ الصغير.
٢- يكبسون رأس الأخ الصغير بكباسة حديد.
٣- يقطعون أصابع يدي الأخ الصغير.
... لأننا نريدك أنْ تعترف من دون تعذيب. وأنْ تظهر على التلفزيون في قميص مرتب وتخبر كل شيء. كل ما يجب أنْ تقوله نكتبه لك. أنت ترتاح ونحن نرتاح. وأخوك يرتاح أيضاً))[٥٦] ، علماً أنَّ لا ذنب لهذا المتهم سوى أنّه متزوج من امرأة أراد نائب الرئيس امتلاك جسدها، هذا النوع من الأفعال كنا نسمع أنّ رجال النظام البعثي كانوا يقومون بها، ولكنها عندما تدخل في سياق عالم روائي كامل توهم القارئ بأنّها أحداث قريبة من الواقع. فالرواية عندما تسرد حكاية هذا النوع من الضحايا فهي تشير إلى كمٍّ هائل من الحوادث المشابهة قام بها رجال البعث ((زوجته أدركت أنها فقدته حين زارها المحامي علي السويدي وأخبرها أنّه قادم من طرف نائب الرئيس، ليطلب منها تطليق زوجها، خصوصاً أنّ الدولة صادرت كلَّ أملاكه. وهي بالتالي باتت منذ اللحظة لا تملك شيئاً))[٥٧] ، إذن فهناك استراتيجية واضحة في كيل التهم للآخرين بغض النظر عن الغاية التي تختفي وراء ذلك.

استثمرت الرواية الشخصية التاريخية استثماراً مختلفاً، حيث نستطيع أنّ نصنّفها إلى ثلاثة أصناف، يمكن أنْ ندرج في الصنف الأول كلَّ الشخصيات التي لم يمارس الروائي تحريفاً كبيراً في سيرتها، وجاءت نهايتها مطابقة لرواية التاريخ، أمّا القسم الثاني فيندرج فيه تلك الشخصيات المعاصرة لصدّام، وللزمن الذي تسلم فيه البعث السلطة، لكنَّ الرواية اخضعتها للتخييل، في سبيل ايصال فكرة ما، وهذه الفكرة يمكن أنْ نصل إليها بفعل التأويل، وأمثلة هذا النوع كثيرة في الرواية منها شخصية (عزيز الحاج). ويمكن أنْ نصطلح على القسم الثالث بالشخصية التاريخية الرمزية، فهي وإنْ كانت شخصيةً تاريخيةً مشهورة، إلا أنّها لم تكن معاصرة للبعث، أي أنَّها توفيت قبل هيمنة البعث على السلطة، ولكنَّ الروائي أدخلها في بناء عالمه بوصفها شخصية رمزية ترمز إلى جماعة معينة عانت الاضطهاد والظلم من قبل النظام البعثي الحاكم، وتنتمي إلى هذا النوع شخصية (ساسون حسقيل)[٥٨] و (يوسف غنيمة)، وهما شخصيتان معروفتان تسلما مناصب عديدة منها وزارة المالية في الحكم الملكي، وقدّما الكثير لخدمة العراق، ويُشهد لهما بالإخلاص والنزاهة. تسترجع الرواية الظلم والقتل والتهجير الذي تعرض له اليهود قبل وبعد وصول البعث للسلطة، وتستعين بهاتين الشخصيتين لترمز لهذه الفئة التي فيها من هو مخلص للعراق إخلاصاً كبيراً، فليس كلُّ يهوديٍّ خائن أو عميل، أو متآمر مع اسرائيل، كما يدّعي خطاب السلطة آنذاك. فالرواية تركز على إخلاصهم للوطن وحبهم للأرض((أقفل الباب على نفسه. فتح (سفر أيوب) وقرأ أنّ الواحد الذي يغادر بيته لا يرجع إليه بعد ذلك أبداً. نظر إلى المرآة وأقسم أنّه لا يترك العراق، وأنّهم إذا أرادوا طرده ينحر عنقه بموس الحلاقة مثل ملك))[٥٩].

إنَّ عملية إحياء هذه الشخصيات، وسحبها إلى عصرٍ مختلفٍ هدفه واضح، فمن جهة كانت تشير إلى بغض السلطة لليهود، وعدم احترامها لتاريخهم وخدمتهم للبلد، ومن جهة أخرى كانت تعرّي تاريخاً سياسياً مظلماً، لا تنظر السلطة فيه إلى الآخر إلا بوصفه متآمراً وجاسوساً ((بعد بلوغ البعث السلطة سمع إسحاق امرأة أخيه يوسف تقول: أنّها خائفة. حين عُلِّق اليهود على المشانق أعلمت المرأة زوجها يوسف أنّها راحلة إلى أمريكا... في جولة إعدام جديدة في أوآخر ١٩٦٩ شُنق أحد أصحابهما القدامى: نائب مدير شركة فورد في العراق يعقوب سليمان. لم يذهبا باتجاه ميدان التحرير بعد ذلك))[٦٠] ، فبطريقة الترهيب والقتل استطاع البعث القضاء على الكثير من يهود العراق وتهجير الباقين. إنّ التخييل هنا كان مهيمناً على المادة التاريخية في سرد أحداث هذه الشخصيات، بل نستطيع أنْ نقولَ أنّ التخييل قد استطاع أنْ يسردَ لنا تاريخ جماعة كاملة مُورسَ ضدّها عنفٌ من نوع آخر، هو عنف الإقصاء والإزاحة والتهجير القسري.

أخيراً نستطيع أنْ نقولَ أنّ رواية (عالم صدّام حسين) تكتب تاريخَ حقبةٍ مظلمةٍ من تاريخ العراق، وتسلط الضوء على صور العنف التي مُورستْ في ظل هيمنة البعث، وهذه الصور كثيرة في متن الرواية، إلا أنّ العنف الأكثر قبحاً هو الذي يُمارس على الأطفال لغسل عقولهم، وجعلهم أداة بيد الحزب لمراقبة العوائل من الداخل، ومشاركة العائلة في تربية أطفالها تربية حزبية. أيقن صدّام بعد أنْ هيمنَ على كلّ شيء في البلد أنّ عليه أنْ يسيطر على الأجيال القادمة أيضاً، فعمد إلى التعليم بوصفه الآلة التي تغذي العقل ليمارس عليه هيمنته وتسلطه، وبهذه الطريقة يستطيع أنْ يكتب تاريخاً مختلفاً، يتوافق مع رؤيته وتطلعاته. إنّ هذا النوع من العنف يعدُّ بلا شكٍّ من أقبح أنواع التعنيف؛ حيث تُمسخ العقول، ويُزيف التاريخ لصالح السلطة ((ما يقرأه الولد الصغير، ما يتعلمه في المدرسة، يتحوّل إلى حقائق في دماغه الهش، في صفحة عقله البيضاء. هنا تبدأ طريق الحياة: علينا أنْ نكتب على هذا اللوح الأبيض النقي التاريخَ كما يجب أنْ يكون، التاريخ كما يراه البعثي النموذجي، التاريخ الكامل الحقيقي))[٦١] ، إذن لم يكتفِ صدّام بالهيمنة على الكبار، صارت غايته أنْ يمارس سلطته على الاجيال القادمة، ليضمن هذه الفئة في المستقبل، ويأمن جانبها، ويحافظ على ثقافة الحزب المتسلط، وبثها في عقول الجيل الجديد، وهذا ما يمكن أنْ يُصطلح عليه بـــــ (إعادة الانتاج الثقافي)، والذي يشير إلى العملية التي يتمُّ بواسطتها الحفاظ على ثقافة الطبقة المسيطرة، ومن ثمَّ الحفاظ على قوتها السياسية، وضمان استمرارها من جيل إلى جيل، باعتماد النظام التعليمي[٦٢]. لم تكنْ ثقافة العنف ثقافة عابرة عند هذا الحزب ورجاله، بل كانت ثقافة بارزة، لم يكتفِ بها كوسيلة للوصول إلى غايته، إنّما راح يطوّر فيها وينميها بوصفها الثقافة التي تضمن المحافظة على مكتسبات الثورة.

خاتمة البحث

كشف لنا البحث وجود علاقة قوية تربط بين رواية السيرة الغيرية والذاكرة المضادة، وتأتي قوة هذه العلاقة بسبب أنّ المادة التي يتشكّل منها السرد في الرواية السيرية هي التاريخ بصفته الخاصة، وهي المادة ذاتها التي تعنى بتدوينها الذاكرة المضادة، وتنشغل بالدفاع عنها، لذا وجدنا هذا النوع من التخييل جاء منسجماً مع مقولات الذاكرة المضادة، ويؤدي الوظيفة التي تنشدها وتحديداً في رواية (عالم صدّام حسين).

قدّمت الرواية التاريخ وأحداثه من وجهة نظر مختلفة، لا يشكُّ القارئ في اقترابها من الواقعة التاريخية، وأنّ السرد فيها قام بوظيفة جليلة، تقف في وجه كلِّ محاولة قادمة لتزييف الحقائق، وتشويهها، وهذهِ في الحقيقة من أهم وأجل الوظائف التي تنهض بها رواية السيرة الغيرية. وقد استطاعت الرواية أنْ تعرّف القارئ بحقيقة مهمة ترتبط بثقافة العنف عند حزب البعث، ورجالاته، فلم تكن هذهِ الثقافة ثقافةً عابرةً، عند هذا الحزب، بل كانت ثقافة بارزة استعان بها بوصفها وسيلة للوصول إلى السلطة، فراح يطوّر فيها، وفي آلياتها من أجل الحفاظ على مكتسبات الحزب، والبقاء على رأس السلطة لمدة أكبر

استثمر البحث في الرواية المدروسة إحدى مقولات الذاكرة المضادة، وتحديداً المقولة التي تعنى ببحث علاقات القوى، والانقلابات، والتنازع السلطوي، موجّها هذهِ المقولة لدراسة ثقافة العنف عند حزب البعث، ورجاله، وأثبتتْ لنا الدراسةُ أنّ العنف عند البطل، قد تجاوز صورته المادية ليصل إلى مرحلة تعنيف العقل، وإعادة إنتاج الثقافة من جديد، لتنسجم مع تطلعات الحزب، وتوجهاته.

الهوامش

(١) جينالوجيا المعرفة ، ميشيل فوكو، تر: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب ، ط٢، ٢٠٠٨ : ٨٣ .

(٢) ينظر : م.ن : ٦٤ .

(٣) م.ن : ٧٦ .

(٤) م.ن : ٦٦.

(٥) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت– لبنان ، د.ط ، ١٩٩٤ : ١٠٠/١ .

(٦) جينالوجيا المعرفة : ٦٨ .

(٧) ينظر : الذاكرة المضادة في رواية " اعجام" لسنان أنطوان، د. حمزة عبد الحمزة عليوي، مجلة دراسات اسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء، ع ١١، ٢٠٢٠ :٣١٠ .

(٨) المصدر السابق : ٧٧–٧٨ .

(٩) م.ن : ٧٩ .

(١٠) الرواية وتأويل التاريخ " نظرية الرواية والرواية العربية" ، د. فيصل درّاج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٤ : ٨٢–٨٣ .

(١١) ينظر : جينالوجيا المعرفة : ٧٥ .

(١٢) سرد الذاكرة المضادة في أدب المانيا واليابان ، فلاح رحيم ، على موقع الحوار المتمدن ، ع ٤١٨٢ ، بتاريخ ٢٠١٣/٨/١٢ ، رابط المقال:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=372942 .

(١٣) ينظر : م.ن .

(١٤) ينظر : التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، عادل العناز، دائرة الثقافة، الشارقة – الامارات ، ط١، ٢٠١٩ : ١٤.

(١٥) فضاء النص الروائي" مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان" ، محمد عزّام، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سورية، ط١ ، ١٩٩٦ : ١٧٨ .

(١٦) ينظر: التأريخي والسردي في الرواية العربية، فاضل ثامر، نسخة الكترونية ، د.ط ، د.ت : ٧ .

(١٧) ينظر : تعليم ما بعد الحداثة" المتخيل والنظرية " ، برندا مارشال، تر: السيد إمام ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠ : ١٩٥ .

(١٨) م.ن .

(١٩) ينظر: السرديات المصطنعة " نظرية موت الواقع في الرواية العربية ما بعد الحداثية، د. خالد علي ياس، دائرة الثقافة ، الشارقة– الامارات ، ط١، ٢٠٢٢ : ١٦٤ .

(*) تناول الدكتور لؤي حمزة عباس مصطلح الذاكرة المضادة مانحاً إياه مفهوماً مختلفاً عمّا وضع له من قبل الباحثين، فهو عنده مقابل لسلطة النسيان، فهي الذاكرة التي تقاوم فعل النسيان، وترمم تلك الفراغات التي أحدثها هذا الفعل، ينظر: الذاكرة المضادة" تحولات الكتابة في الرواية العربية الجديدة، د. لؤي حمة عباس، مجلة لارك، كلية الآداب- جامعة واسط، السنة الثانية، ع٢، ٢٠١٠: ٢٨.

(٢٠) عالم صدام حسين، مهدي حيدر، منشورات الجمل، كولونيا- المانيا، ط٣، ٢٠٠٣.

(٢١) ينظر: المثقف الشاهد بديلاً عن المثقف البطل في روايات فلاح رحيم، د. عقيل عبد الحسين، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية، ع٢، ٢٠٢٢: ١١٥.

(٢٢) ينظر: م.ن: ٧.

(٢٣) يُنظر: الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكور، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠٠٩ : ٣٣.

(٢٤) ينظر : عالم صدام حسين : ٨-١٠ .

(٢٥) م.ن : ٢٦ .

(٢٦) م.ن : ٢٨ .

(٢٧) عالم صدام حسين : ٣٤.

(٢٨) م.ن : ٤٣-٤٤.

(٢٩) ينظر: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب، د. علي كريم سعيد، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩ : ٣٢.

(٣٠) عالم صدّام حسين : ٤٨.

(٣١) م.ن : ٦٢ .

(٣٢) ن.ن: ٦٣ .

(٣٣) سرديات الأمة "تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة" ، ادريس الخضراوي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠١٧: ٩٨- ٩٩.

(٣٤) عالم صدام حسين: ٩٨.

(٣٥) م.ن: ٩٨.

(٣٦) تشريح السلطة "تجاذبات القوة والتخييل"، د. محمد بو عزة، مجلة الجسرة الثقافية، ع٢٨، ١/ أبريل/ ٢٠١٢: ١١٤.

(٣٧) المصدر السابق: ١٥٥-١٥٦.

(٣٨) عالم صدام حسين: ١٥٧.

(٣٩) الرواية وتأويل التاريخ " نظرية الرواية والرواية العربية" : ٩٢ .

(٤٠) ينظر : من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدراً للسرد، إدريس خضراوي، مجلة تبيّن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع٣٣، مج ٩، ٢٠٢٠: ٨٨.

(٤١) عالم صدام حسين : ١٦٩.

(*) يمكن الاطلاع على السيرة الذاتية لهذه الشخصية بالتفصيل على موقع ملاحق جريدة المدى اليومية، إحسان شيرزاد/ السيرة الذاتية، ٢٠١٦/٢/١٠ ، على الرابط :
https://almadasupplements.com/view.php?cat=14830 .

(**) ولد رفعة كامل الجادرجي في بغداد ١٩٢٦. درس العمارة في لندن ٤٦-٥٢ ، مارس مهنة العمارة في العراق والأقطار العربية ٥٢-٧٨ . شغل مناصب مهنية وادارية في الحكومة العراقية وفي فترات متعددة منها رئيس شعبة الهندسة في مديرية الأوقاف العامة ٥٤-٥٦. مدير عام الهيئة الفنية الخامسة (الاسكان) وزارة الاعمار ٥٨-٥٩. ... ينظر كتاب : شارع طه وهامر سمث" بحث في جدلية العمارة، رفعة الجادرجي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٨٥: ٨.

(٤٢) ينظر : رفعة الجادرجي في ذمة الخلود، خالد السلطاني، على موقع إيلاف، ١٢/ ابريل/ ٢٠٢٠، على الرابط : https://elaph.com/Web/Culture/2020/04/1288540.html .

(٤٣) ينظر: سرديات الأمة : ٩٤ .

(٤٤) ينظر : عالم صدام حسين : ١٩١ وما بعدها.

(٤٥) م.ن : ٢٠٠.

(٤٦) عالم صدام حسين : ٢١٥.

(٤٧) م.ن : ٢٢٣.

(٤٨) م.ن : ٢٢٥.

(٤٩) ينظر : عالم صدّام حسين : ٢٢٥-٢٢٦.

(٥٠) م.ن : ٢٢٧ .

(٥١) ينظر : عالم صدام حسين : ٢٢٩-٢٣٤.

(٥٢) م.ن : ٢٣٥ .

(٥٣) عالم صدام حسين : ٢٣٨-٢٣٩.

(٥٤) م.ن : ٢٤١ .

(٥٥) ينظر : عالم صدام حسين : ٢٧٨.

(٥٦) م.ن : ٢٨٠-٢٨١.

(٥٧) عالم صدّام حسين : ٢٨١.

(٥٨) ينظر : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، يوسف رزق الله غنيمة، مطبعة الفرات، بغداد، ط١، ١٩٢٤ : ١٨٦-١٨٧.

(٥٩) المصدر السابق: ٢٨٧.

(٦٠)عالم صدام حسين : ٢٨٧.

(٦١) م.ن : ٢٧٠.

(٦٢) يُنظر: موسوعة النظرية الثقافية" المفاهيم والمصطلحات الأساسية"، أندرو إدجار، وبيتر سيدجويك، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٤ : ٨٧.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: الكتب

١ــ التأريخي والسردي في الرواية العربية، فاضل ثامر، د.ط ، د.ت.

٢ــ تعليم ما بعد الحداثة" المتخيل والنظرية"، برندا مارشال، تر: السيد إمام ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

٣ــ التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، عادل العناز، دائرة الثقافة، الشارقة – الامارات ، ط١، ٢٠١٩.

٤ــ جينالوجيا المعرفة ، ميشيل فوكو، تر: أحمد السطاتي و عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب ، ط٢، ٢٠٠٨.

٥ــ الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكور، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

٦ــ الرواية وتأويل التاريخ " نظرية الرواية والرواية العربية"، د. فيصل درّاج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٤.

٧ــ سرديات الأمة "تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة" ، ادريس الخضراوي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠١٧.

٨ــ السرديات المصطنعة " نظرية موت الواقع في الرواية العربية ما بعد الحداثية، د. خالد علي ياس، دائرة الثقافة ، الشارقة- الامارات ، ط١، ٢٠٢٢.

٩ــ شارع طه وهامر سمث" بحث في جدلية العمارة، رفعة الجادرجي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٨٥.

١٠ــ عالم صدام حسين، مهدي حيدر، منشورات الجمل، كولونيا- المانيا، ط٣، ٢٠٠٣.

١١ــ عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب، د. علي كريم سعيد، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩.

١٢ــ فضاء النص الروائي" مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان" ، محمد عزّام، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سورية، ط١ ، ١٩٩٦.

١٣ــ المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت- لبنان ، د.ط ، ١٩٩٤.

١٤ــ موسوعة النظرية الثقافية" المفاهيم والمصطلحات الأساسية"، أندرو إدجار، وبيتر سيدجويك، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٤.

١٥ــ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، يوسف رزق الله غنيمة، مطبعة الفرات، بغداد، ط١، ١٩٢٤.

ثانياً: الدوريات

١ــ تشريح السلطة "تجاذبات القوة والتخييل"، د. محمد بو عزة، مجلة الجسرة الثقافية، ع٢٨، ١/ أبريل/ ٢٠١٢.

١٢ــ الذاكرة المضادة" تحولات الكتابة في الرواية العربية الجديدة، د. لؤي حمة عباس، مجلة لارك، كلية الآداب- جامعة واسط، السنة الثانية، ع٢، ٢٠١٠.

١٣ــ الذاكرة المضادة في رواية " اعجام" لسنان أنطوان، د. حمزة عبد الحمزة عليوي، مجلة دراسات اسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء، ع ١١، ٢٠٢٠.

١٤ــ المثقف الشاهد بديلاً عن المثقف البطل في روايات فلاح رحيم، د. عقيل عبد الحسين، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية، ع٢، ٢٠٢٢.

١٥ــ من التاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدراً للسرد، إدريس خضراوي، مجلة تبيّن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع٣٣، مج ٩، ٢٠٢٠.

ثالثاً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

١ــ رفعة الجادرجي في ذمة الخلود، خالد السلطاني، على موقع إيلاف، ١٢/ ابريل/ ٢٠٢٠، على الرابط:

https://elaph.com/Web/Culture/2020/04/1288540.html.

٢ــ سرد الذاكرة المضادة في أدب المانيا واليابان، فلاح رحيم، على موقع الحوار المتمدن ،ع ٤١٨٢ ، بتاريخ ٢٠١٣/٨/١٢ ، رابط المقال:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=372942.

٣ــ ملاحق جريدة المدى اليومية، إحسان شيرزاد/ السيرة الذاتية، ٢٠١٦/٢/١٠، على الرابط

https://almadasupplements.com/view.php?cat=14830 .

Sources and references in English:

First: Books:

1-The Historical and Narrative in the Arabic Novel, Fadel Thamer, w. p, w. d.

2- Postmodern Education "Imagined and Theory", Brenda Marshall, tr.: El-Sayed Imam, The National Center for Translation, Cairo, 1st edition, 2010.

3- Interpretive representation of history in the Arabic novel, Adel Al-Anaz, Department of Culture, Sharjah - UAE, 1st Edition, 2019.

4- Genealogy of Knowledge, Michel Foucault, ed.: Ahmed El Satati and Abdel Salam Benabd El Ali, Dar Toubkal Publishing House, Casablanca - Morocco, 2nd edition, 2008.

5- Memory, History, Forgetfulness, Paul Ricor, TR: Georges Zenati, New Book House United, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2009.

6- The Novel and the Interpretation of History "The Theory of the Novel and the Arabic Novel", d. Faisal Darraj, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, 1st Edition, 2004.

7- Narratives of the Nation "Imagination of History and the Culture of Memory in the Contemporary Moroccan Novel", Idris Al Khadrawi, East Africa, Casablanca - Morocco, 2017.

8- Artificial Narratives: The Theory of the Death of Reality in the Postmodern Arabic Novel, Dr. Khaled Ali Yas, Department of Culture, Sharjah-UAE, 1st edition, 2022.

9- Taha Street and Hammersmith" Research in the Dialectic of Architecture, Rifa'a Chadirji, Arab Research Foundation, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1985.

10- The World of Saddam Hussein, Mahdi Haider, Al-Jamal Publications, Cologne - Germany, 3rd Edition, 2003.

11- Iraq, February 8, 1963, from a dialogue of concepts to a dialogue of blood, reviews in the memory of Talib Al-Shabib, d. Ali Karim Saeed, Literary Treasures House, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1999.

12- The Space of the Narrative Text "A Structural and Formative Approach in the Literature of Nabil Suleiman", Muhammad Azzam, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Lattakia - Syria, 1st edition, 1996.

13- Philosophical Lexicon, d. Jamil Saliba, The International Book Company, Beirut - Lebanon, Dr. I, 1994.
14- Encyclopedia of Cultural Theory "Basic Concepts and Terms", Andrew Edgar and Peter Sedgwick, tr.: Hana El-Gohary, National Center for Translation, Cairo, 2nd edition, 2014.
15 Nuzhat al-Mushtaq in the History of the Jews of Iraq, Yusuf Rizk Allah Ghanima, Al-Furat Press, Baghdad, 1st edition, 1924.

Second: Periodicals

1-Anatomy of power, "the tensions of power and imagination", d. Muhammad Bou Azza, Al-Jasra Cultural Magazine, Issue 28, April 1, 2012.
2- Anti-memory, "Transformations of Writing in the New Arabic Novel," Dr. Louay Hama Abbas, Lark Magazine, College of Arts, Wasit University, second year, p. 2, 2010.
3- The counter memory in the novel "Ajam" by Sinan Antoine, d. Hamza Abdul Hamza Aliwi, Journal of Contemporary Islamic Studies, College of Islamic Sciences - University of Karbala, Issue 11, 2020.
4- The intellectual witness as a substitute for the intellectual hero in Falah Rahim's novels, d. Aqil Abd Al-Hussein, Al-Aqlam Magazine, Dar Al-Ash'un Al-Thaqafia, Vol. 2, 2022.
5- From history to the novel, collective memory as a source of narration, Idris Khadrawi, Tabeen Magazine, The Arab Center for Research and Policy Studies, p. 33, vol. 9, 2020.

Third: International Information Network (Internet)

1- Rifat al-Jadirji is in custody of immortality, Khaled al-Sultani, on the Elaph website, April 12, 2020, at the link:
https://elaph.com/Web/Culture/2020/04/1288540.html.
2-Narrating Counter-Memory in the Literature of Germany and Japan, Falah Rahim, on the Al-Hiwar Al-Motaddin website, p. 4182, dated 8/12/2013, link to the article:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=372942.
3-Supplements to Al-Mada daily newspaper, Ihsan Shirzad / Biography, 10/2/2016, at the link:
https://almadasupplements.com/view.php?cat=14830.